اللغة وأدوار النوع الاجتماعي في السودان – مجتمع الدلنج أنموذجاً

عبدالرحيم حامد مقدم

Abstract: Language shift from a local language to Arabic bilingualism to the exclusive use of Arabic is occurring in vernacular speech communities in Dilling town, in the Nuba Mountains. Females are further along in the direction of shift than males. Women in Dilling are increasingly attracted to Arabic for the practical function the language plays in their life. The growing role of women in the changing society of the Nuba Mountains has contributed much to the process of language shift among themselves, as they have to use Arabic (the sole *lingua franca* of the area) in more domains of communication. Today, women participate actively in the sociopolitical and socioeconomic life in the region. In this perspective women tend to move away from their traditional domain, the house, to a more open and interactive setting. The paper confirms Gal's (1978) findings that women's speech choices may best be understood within the framework of their social status, their life choice, and the symbolic values of the code at their disposal.

١ – مقدمة:

تهدف هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على دور النوع الاجتماعي (الجندر) في عملية التحول اللغوي والاتجاهات النفسية نحو اللغة في السودان بالتركيز على مدينة الدلنج. يتم التحقق في هذا الدور بتحليل استخدام الرجال والنساء للغات المحلية واللغة العربية في مدينة الدلنج لمعرفة مدى الاختلاف في السلوك اللغوي بين النساء والرجال من حيث الإحتفاظ باللغة الاثنية أو التحول إلى اللغة العربية باستخدامها في معظم مجالات التواصل.

٢- اللغة والنوع الاجتماعي

تعتبر علاقة النوع الاجتماعي باللغة أمراً ضرورياً لفهم ديناميكية اللغة وتطورها. وقد بدأت البحوث والدراسات في هذا المجال وتطورت خلال الموجة الثانية من الحركة النسوية في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، حيث تركزت البحوث في المقام الأول على التحيز القائم على الجنس في اللغة، وطبيعة الاختلافات بين الجنسين في استخدام اللغة.[١] لقد برهنت لاكوف[٢] (Lakoff) أن تهميش المرأة وافتقارها إلى السلطة ينعكس في الطريقة التي يتحدث بها النساء والرجال. ويذهب ويزرال[٣] (Weatherall) إلى أن علاقة السلطة بين الرجل والمرأة تشكل لغة المجتمع المعني، وأن سلطة الرجال تنعكس في اللغة التي يستخدمونها بطرق مختلفة. ويزعم ويزرال[٤] بأنه يمكن النظر إلى الفوارق اللغوية باعتبارها نواقصاً في خطاب المرأة. هنالك اعتقاد في العالم الغربي بأن النساء ثرثارات وحديثهن تافه لا قيمة له، ويذخر أدبهم الشعبي بالعديد من الأمثال التي تدعم هذا الرأي. فيشير جيسبرسن[٥] (Jespersen) إلى أن النساء لديهن مفردات لغوية أقل مما لدى الرجال، ويستخدمن جملاً بسيطة، ويتحدثن بدون تفكير، مما يؤدي إلى استخدامهن لجمل غير كاملة. وعلاوة على ذلك، تقول لاكوف[٦] (Lakoff) إن أسلوب تخاطب المرأة ينطوي على الضعف وعدم اليقين وقلة

(١) R. Lakoff (1975): *Language and Women's Place.* New York: Harper & Row.

(٢) *Ibid*.

(٣) Anne Weatherall (2002): "Towards understanding gender and talk-in-interaction", *Discourse Society* 13, p. 767.

(٤) *Ibid*., p. 767.

(٥) O. Jespersen (1922): "Language: its nature, development, and origin", in A. Weatherall (ed,), *Gender, Language and Discourse.* Great Britain: Cornwall.

(٦) R. Lakoff, *op.cit*.

الأهمية، وتجد لغة المرأة أدنى من لغة الرجل، التي تكون مباشرة وواضحة. وعلى هذا النحو، ترى لاكوف (Lakoff) أن الفوارق في أسلوب تخاطب النساء والرجال تعكس الفوارق في مكانة كل من الجنسين في المجتمع.

ينظر بعض العلماء إلى العلاقة بين اللغة والسلطة باعتبارها قضية سياسية؛ بمعنى أن التحيز النوعي في اللغة ذو صبغة سياسية أكثر من كونه محايداً أو لا قيمة له. ذلك لأن اللغة تميل إلى التقليل من قدر النساء والتكريس لدونيتهن في المجتمع، وخير مثال لذلك، نظام التسمية، حيث تأخذ المرأة اسم زوجها، وتذكير الألقاب، وذكر السيد قبل السيدة؛ ويستخدم كل ذلك وسيلة للحط من قدر المرأة ومكانتها في المجتمع. وتؤكد كاميرون[٧] (Cameron) أن قواعد اللغة ومعايير التخاطب الصحيح تعتبر مهمة في فهم قواعد التخاطب التي ترتبط بالسلطة والمزايا الاجتماعية داخل المجتمع. وهكذا، تعد الطرق المعيارية لاستخدام اللغة أيديولوجية في المقام الأول وأن معايير التخاطب تعتبر من العوامل القوية التي تؤثر على تفكير الأشخاص وتقييمهم للآخرين. يفترض براون[٨] (Brown) أن التهذيب السلبي يرتبط بمن هم في مراتب اجتماعية دنيا، أي النساء على وجه التحديد. مثلاً، يعتذر المتحدثون عن تطفلهم أو مداخلاتهم باستخدام بنيات لغوية غير شخصية. ويؤكد اتكينز وأوبار[٩] (Atkins & O. Barr) هذا الافتراض، حيث لاحظا أن الشهود الذكور والأناث في المحاكم

(٧) D. Cameron, (1995): *Verbal Hygiene.* London: Routledge.

(٨) P. Brown (1980): "How and why women are more polite: Some evidence from Mayan community", in S. McConnell-Ginet, et al (eds.), *Women and Language in Literature and Society*. New York: Praeger, pp. 111-136.

(٩) J. Atkins & P. Drew (1979): "Order in court", in A. Weatherall (ed.), *Gender, Language and Discourse.* Great Britain: Cornwall.

يختلفون في استخدامهم للغة، وتبعاً لذلك يتعامل المحامون مع الشاهدات باعتبارهن حالة خاصة، وهذا ما يضع المرأة في منزلة دنيا.

يذهب اتكينز وأوبار[١٠] إلى أن استخدام المرأة للغة يشوبه ضعف مرده إلى وضعها الضعيف داخل المجتمع، وليس إلى جنسها. إلا أن ويست[١١] (West) ينحى منحىً آخر، حيث حاول معرفة ما إذا كانت المرأة التي تتبوأ موقعاً مهماً تستطيع أن تسيطر على مجريات الحديث. وعند تحليله للتعامل بين الطبيب والمريض، وجد ويست أن الأطباء عادة ما يقاطعون مرضاهم أثناء الحديث إلا إذا كان الطبيب من الإناث والمريض ذكراً أبيضاً، وهي الحالة التي تتم فيها مقاطعة الطبيب. تدل هذه النتيجة على أنه حتى عندما تكون المرأة في موقف قوي، فإن جنسها، وليس وضعها، هو المسؤول عن مقاطعتها أثناء الحديث. وفي ذات السياق، وجد ودز[١٢] (Woods)، بناءً على تحليله لمحادثات جرت بين زملاء في العمل بدرجات وظيفية مختلفة، أن الرجل يسيطر على ساحة الحوار، سواء كان رئيسا أو مرؤوسا. وتوضح هذه الدراسة أن الرجال ذوي الوضع المتدني لا يميلون إلى استخدام اللغة الضعيفة؛ عوضاً عن ذلك، نجدهم يهيمنون على التعاملات باستخدام لغة قوية، كالمقاطعة على سبيل المثال.

ويؤكد ويست وزيمرمان[١٣] (Zimmerman & West) أن الرجال يميلون للسيطرة على الحديث بكثرة المقاطعات عندما يكون المشاركون فيه من الجنسين، وبالسعي إلى

(١٠) *Ibid.*

(١١) C. West (1984): "When the doctor is a 'lady': Power, status and gender in physician-patient encounter", in J. Coates (ed.), *Women, Men and Language*. London: Longman.

(١٢) N. Woods (1989): "Talking shop: Sex and status as determinants of floor apportionment in a work setting", in J. Coates, & D. Cameron (eds.), *Women in Their Speech Communities*. London and New York: Longman, pp. 141-157.

(١٣) D. Zimmerman & C. West (1975): "Sex Roles: Interruptions and silences in conversation", in J. Coates (ed.), *Women, Men and Language.* London: Longman.

التحدث أكثر من النساء. ويعتقد الباحثان أعلاه أن الموضوعات التي يطرحها الرجال أثناء المحادثات المختلطة تحظى بقدر كبير من السطوة في حين أن المرأة تلعب فيها دوراً ثانوياً. فمثلاً، عندما يقوم رجل بطرح موضوع يرتبط بمجال الرجال، مثل السياسة أو الرياضة، أثناء محادثة مختلطة، تنأى المرأة عن طرح أي موضوع يخص النساء (مثل الأسرة أو المسائل الشخصية)؛ بدلاً عن ذلك، نجدها تيسر الحوار من خلال دعمها وتعليقها على الموضوع الذي طرح بواسطة الذكور. وفي نفس الاتجاه، يفترض الباحثان[١٤] أن استخدام المقاطعة ناتج من الفوارق النوعية، ويعتقدان أن هنالك ارتباطاً حتمياً بين النوع الاجتماعي والسلطة. إن المقاطعات التي تمارس خلال محادثاتنا اليومية ما هي إلا لمحات من السلطة. ويساعد هذا السلوك اللغوي في تشكيل الوضع الدوني للأنثى. ومع ذلك، يؤكد الباحثان على أن استخدام المقاطعة لا يرتبط بالفوارق النوعية فحسب، بل يمكن أن يسود في محادثات أخرى مثل تلك التي تتم بين الوالدين والأطفال.

تفترض سوان[١٥] (Swann) أن الهيمنة على الحديث يمكن أن تمارس بطرق مختلفة، سواءً أكانت لغوية أو غير ذلك، وأي تحليل لهيمنة الذكور على الحديث يجب أن يأخذ في الاعتبار ميزات التخاطب المختلفة للسلوك غير اللفظي، مثل العوامل السياقية (ترتيب الجلوس والأنشطة التي تصاحب الحديث، إلخ). وتعتقد سوان أن علاقات القوة يمكن أن تكون مسؤولة عن الاختلافات اللغوية بين الذكور والإناث، وترى أن النساء يعتبرن في خانة الفئات الاجتماعية الضعيفة، ليس فقط في الدراسات

(١٤) *Ibid.*

(١٥) Swann, J. (1989): "Talk Control: an illustration from the classroom of problems in analyzing male dominance of conversation", in J. Coates, & D. Cameron (eds.): *Women in Their Speech Communities*. London & New York: Longman, pp. 123-140.

التي تتناول التعاملات بين الذكور والإناث، ولكن أيضاً في الدراسات التي تُجرى على وضع المرأة في المجتمع. فيشغل الرجال مناصب أكثر قوة في المجتمع، بينما تقل فرص النساء لشغل مناصب رفيعة في الحكومة/السلطة، حتى عند مساواتهن للرجال في المستوى التعليمي.(١٦) علاوة على ذلك، يتفق كلا الجنسين في أن الرجال هم الجنس المهيمن. لذلك عندما يختفي الوضع الاجتماعي في محادثة ما، وعندما يبدو الأمر على أنه وجود لإمرأة أو رجل بغض النظر عن الوظيفة، غالباُ ما يهيمن الرجال على التعاملات.(١٧) ويؤيد ودز(١٨) هذا الرأي، حيث يعتقد أن هيمنة الذكور على الحديث يمكن أن ترد إلى حقيقة أن الرجال يتمتعون بمكانة أعلى من مكانة المرأة في مجتمعاتهم. ووفقاً لنموذج التخاطب التبادلي الذي اقترحه ساكس (Sacks) وآخرون،(١٩) تتلخص الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة في النقاط التالية:

١ – في التعامل المختلط يتحدث الرجال أكثر من النساء.

٢ – يميل الرجال إلى المقاطعة والتدخل أكثر من النساء.

٣ – يتحدث الرجال بدون توقف (يتيح تغيير المتحدث) ويستمرون في التحدث دون فواصل بين الوحدات الكلامية.

٤ – يتولى الرجال زمام المبادرة في الحديث.

٥ – يحظى الرجال باستجابة وقبول أثناء الحديث أكثر مما تحظى به النساء.

---

(١٦) *Ibid*., pp. 123-140.

(١٧) *Ibid., idem*.

(١٨) N. Woods (1989): "Talking shop: Sex and status as determinants of floor apportionment in a work setting", in J. Coates, & D. Cameron (eds.), *Women in Their Speech Communities*. London and New York: Longman, pp. 141-157.

(١٩) H. Sacks, E.A. Schegloff & G. Jefferson (1974): "A simplest systematics for the organization of turn-taking for conversation", *Language*, vx, pp. 696-735.

يوضح كوتس[٢٠] (Coates) أنه طالما ظل خطاب الرجال مهيمناً، فإن النساء يظللن ينظرن إلى أنفسهن بدونية مقارنة بالرجال. ومع ذلك، فإن هيمنة المرأة على الحديث تحدث فقط عندما يكون الخطاب موظفاً لصالح الرجال. فلا تتمتع المرأة بالأهمية إلا إذا كانت في موقع الأم أو الزوجة أو الابنة، وهي بلا شك مهمشة في غير ذلك. ووفقاً لهولمز[٢١] (Holmes)، لقد بدأت المرأة خلال العقدين الأخيرين تلعب أدواراً ترتكز على سلطة حقيقية، ومسؤولية، ووضع مميز في المؤسسات المهنية. وفي تناوله للعلاقة بين القيادة والنوع الاجتماعي، وكذا أساليب خطاب النوع الاجتماعي في القيادة، يوحي إلى أن المتطلبات الأساسية للقيادة الفعالة تكمن في الأسلوب الذكوري، وذلك لأن الرجال حاسمون وحازمون في عملية التوجيه وإعطاء الأوامر. ويطرح هولمز طريقتين لإعطاء الأوامر في مكان العمل على أساس النوع الاجتماعي. تشير الطرق الأكثر مباشرة للتحدث إلى الذكورة، بينما تبدو الأساليب غير المباشرة غارقة في الأنثوية. وتعتبر الأشكال اللغوية مثل عبارات الأمر (نحو: تحقق من الأمر!) أو عبارات الطلب (مثال: أريد أن أرى الملف!) إلى الأسلوب الذكوري المحض في إصدار الأوامر أو الطلب من شخص ما القيام بعمل معين. وتجعل استراتيجية الخطاب الذكوري المباشر هذه المديرين أكثر ثقة في أنفسهم كقادة، في حين أن النساء يستخدمن استراتيجية خطاب أقل مباشرة عند إصدار الأوامر، حيث تشمل الاسترتيجية بعض الأشكال اللغوية، مثل الاستفهام بدلاً عن الأمر (على سبيل المثال: هل يمكنك كتابة ذلك على نحو أكثر إتقاناً؟)، وعبارات الأمر بلطف (مثال: قد نحتاج إلى بعض المساعدة)،

(٢٠) J. Coates (1996): *Women Talk.* Oxford: Blackwell.

(٢١) J. Holmes & M. Marra (2004): "Relational practice in the workplace: Women's talk or gendered discourse?", *Language in Society* 33, pp. 377-398.

وأساليب كلامية أخرى مثل التردد والتوقف. وتشير هذه الأشكال غير المباشرة إلى نمط أكثر أنوثة لدى النساء القياديات.[٢٢]

يبرهن هولمز[٢٣] أنه يمكن ممارسة استراتيجية إعطاء الموجهات في إجتماعات العمل إما عن طريق الأسلوب الذكوري الآمر الحازم أو الطريقة التعاطفية الأنثوية. بمعنى آخر، نسبة لأن المرأة تمتلك الحس الذي يمكنها من فهم مشاعر الآخرين، فإنها تستخدم الاستراتيجية اللغوية التي تمكّنها من توجيه العاملين لديها باعتبار وضعيتها. وهذا يعني أن المرأة تميل لاستخدام أشكال لطيفة وحذرة وغير مباشرة، لإعطاء التوجيهات، مما يشير إلى أسلوبها الأنثوي في القيادة. وتعتبر أساليب القيادة للقادة الذكور والإناث فعالة في مجال العمل. ومع ذلك، فهنالك بعض النساء في المناصب القيادية يعتمدن الأسلوب الذكوري في توجيه مرؤوسيهم. وتعتقد أولائي النساء أن اختيار الاستراتيجية الذكورية وسيلة ماهرة لإعطاء التوجيهات. وبفعلهن ذلك، يجدن أنفسهن غارقات في أسلوب الرجال، وهو بعيد كل البعد عن عالم النساء الرقيق.[٢٤]

وكذلك يبيِّن بيريمان–فينك[٢٥] (Berryman-Fink) أن بيئة عمل المؤسسات تعمل على افتراضات وأساليب حياة ذكورية؛ بعبارة أخرى، يتم نقل عالم الرجال إلى أماكن عملهم. ويعد أسلوب التخاطب واحداً من أكثر السلوكيات السائدة التي يعتمدها الرجال داخل مؤسساتهم. وتتبنى النساء اللاتي يسعين إلى القيادة الفعالة والنجاح

(٢٢) *Ibid*.

(٢٣) *Ibid*.

(٢٤) *Ibid*.

(٢٥) C. Berryman-fink (1997): "Gender Issues: Management style, mobility, and harassment", in J. Holmes (ed.), *Gender Talk at Work.* UK: Cornwall.

في مكان العمل نموذجاً ذكورياً اعتقاداً بأنه على القادة استخدام الهيمنة الذكورية وأنماط السلوك المتسلط. ويقول بيريمان–فينك أن أولائي النساء، يتهندمن في كثير من الأحيان بطرق تشير إلى رغبتهن في فرض شخصيتهن في عالم الأعمال الذي يخضع للسيطرة الذكورية، كما يملن إلى التحدث بطريقة الرجال. والمثير للاهتمام هو أن هذا الكاتب يدعي أن بعض النساء يواجهن الخطاب المجندر في أماكن عملهن بطرق مختلفة، ويعتقدن أنه من أجل الحصول على تعامل محترم، لابد للمرأة إثبات أنها قادرة على القيام بالعمل على نحو أفضل من زملائها الرجال. وبعبارة أخرى، فإن النساء يعتمدن استراتيجيات الذكور من أجل إثبات أحقيتهن في القيادة، وفي الوقت نفسه، يسهمن في إلغاء الجندرة من هذه الاستراتيجيات. فالنساء ينظرن إلى أسلوب التسلط على أنه خطاب للقيادة، وليس مجرد أسلوب خاص بالذكور. ومع ذلك، يزعم بيريمان–فينك أن بعض النساء في الدرجات الوظيفية العليا يظهرن أنوثتهن بشكل واضح، ويعبرن عن ثقتهن بطرق مختلفة خلال التعاملات التي تتم في مكان العمل، ويفرضن مناخاً أنثوياً في حضور زملائهن الرجال.

٣- الاختلافات اللغوية على أساس النوع الاجتماعي

اهتمت الدراسات النسوية خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي بالفوارق بين الجنسين في اللغة. يعتقد ويزرال[٢٦] أن الفروق النوعية في اللغة تغطي مجالاً واسعاً من اللغة (النوع الاجتماعي والصوت، والقدرة اللفظية، وما إلى ذلك). ومن ناحية أخرى، فقد اهتم اللغويون كثيراً بالتباين بين الجنسين على المستويات النحوية والصوتية والدلالية. هناك نوعان من الفوارق بين الجنسين، الأول: الجوانب الأحيائية والتي تميز الرجال على النساء (مثل اختلافات الصوت)، والثاني: الطريقة

(٢٦) A. Weatherall, *op.cit*., p. 767.

التي تستخدم بها اللغة، والتي تعطي الأولوية للرجال، كم هو الحال في نظام التسمية (على سبيل المثال: السيدة توم) والألقاب (مثل: الذكور والإناث).[٢٧]

هناك من يعتقد أن ممارسة التسمية الزوجية هي وسيلة للتقليل من شأن المرأة وطمس هويتها، وأن تجاهل الاسم الأصلي للمرأة يشكّل نقطة البداية لهيمنة زوجها. بمعنى أنه عندما تأخذ الزوجة اسم زوجها، ينمو لدى الزوج الشعور بملكيته لها، مما يؤدي إلى فرض سلطته عليها. وفي المقابل، فإن احتفاظ المرأة باسمها الأصلي بعد الزواج لا يعني ضعف الزواج أو العلاقة الأسرية، بل هو حفظ لهوية المرأة كعضو فاعل في المجتمع، إلى جانب الحفاظ على الشراكة، وكذلك المشاركة في الأمور الأسرية.

ويناقش ويزرال[٢٨] (Weatherall) جانباً آخر من اصطلاحات التسمية في اللغة الإنجليزية التي تنسب المرأة إلى الآخرين، حيث تستخدم عبارتا "السيدة" و"الآنسة" تقليدياً كألقاب تسبق أسماء النساء لتبيِّن ما إذا كن متزوجات أم لا، في حين أن اللقب المقابل، أي "السيد" الذي يأتي قبل اسم الرجل لا يكشف ما إذا كان متزوجاً أم لا. وقد برزت مؤخرا استراتيجية لإزالة هذه اللامساواة بظهورلقب السيدة (Ms) الذي لا يشير إلى حالة المرأة الاجتماعية (متزوجة أو غير ذلك)، وتبنته النساء اللائي رفضن لقب الزوجية منذ الستينيات. ووجد ديون وشولر[٢٩] (Dion & Schuller) في دراسة لهما أن القياديات اللاتي يفضلن لقب "السيدة" Ms يتمتعن بسمات تشبه تلك التي يتمتع بها المديرون الناجحون من الرجال.

(٢٧) *Ibid., idem.*

(٢٨) *Ibid., idem.*

(٢٩) K.L. Dion & R.A. Schuller (1990): "Ms., and the manager: A tale of two stereotypes", *Sex Roles,* 22 (9/10), pp. 569-577.

وبصرف النظر عن أسماء العائلة والألقاب، تعد التسمية الشخصية جانباً آخر من اصطلاحات التسمية. ويذهب ويزرال[٣٠] إلى أن بعض الدراسات أشارت إلى أن هناك صوراً نمطية ارتبطت بالأسماء قد تؤثر على مفهوم الشخص لذاته وتصور وسلوك الآخرين تجاه الأشخاص الذين يحملون تلك الأسماء . وهناك دراسة أخرى أجراها زويجنهافت وهايز وهاجان[٣١] (Zweigenhaft, Hayes and Hagan)،تقارن التقييمات الذاتية للرجال والنساء الذين يحملون أسماء مبهمة (مثل: كيم (Kim)، ليزلي (Leslie)) بتقييمات الرجال والنساء الذين يحملون أسماء دالة على النوع (مثل: مارك (Mark)، بام (Pam)). وقد وجد الباحثون أنه لا توجد اختلافات بين التقييمات الذاتية للرجال الذين يحملون أسماء مبهمة وأولئك الذين يحملون أسماء واضحة من حيث الجنس. ولكن النساء اللاتي يحملن أسماء مبهمة اتجهن إلى تقييم أنفسهن بمعدلات أعلى من النساء اللاتي يحملن أسماء واضحة فيما يتعلق بمكانتهن، وبمعدلات أدنى منهن فيما يتعلق بالأنوثة.

أما الجانب الثالث من اللغة المتحيزة ضد المرأة والذي يؤثر على النساء بشكل سلبي هو أن اللغة ظلت على الدوام تقلل من قدر النساء. ويزعم هينلي[٣٢] (Henley) أن اللغة قد تحط من قدر المرأة، وكذلك تتجاهلها وتظهرها بشكل قاصر. والدليل

(٣٠) A. Weatherall, *op.cit*. p. 767.

(٣١) R. Zweigenhaft, K. Hayes & M. Hagan (1980): "The psychological impact of names", *Journal of Social Psychology* 110, pp. 203-210.

(٣٢) N. Henley (1987): "This new species that seeks a new language: On sexism in language and language change", in J. Penfield (ed.), *Women and Language in Translation*. New York: State University on New York Press, pp. 3-25.

على ذلك، كما أوضح ويزرال[٣٣] هو أن صيغ مفردات التذكير في اللغة الإنجليزية تحمل دلالة إيجابية أكبر من تلك التي تحملها صيغ مفردات التأنيث. وتؤيد لاكوف[٣٤] هذا الرأي بأمثلة، حيث تقارن دلالات "الأعزب" و"العانس" (bachelor and spinster) و"السيد" و"السيدة" (lord and lady)، و"المالك" و"المالكة" (master and mistress) لتوضيح الدلالة الإيجابية لصيغ التذكير. وعلاوة على ذلك، فإن المفردات التي لها نفس الصيغة مثل: المهني (Professional)، الأمين (Secretary) تحمل دلالات إيجابية عندما تطلق على الرجال أكثر من النساء. ويستثنى من ذلك بعض المفردات التي تستخدم للإشارة إلى الجنس الآخر؛ فـ"مسترجلة" (tomboy) تحمل دلالة إيجابية في حين أن "مخنث" (sissy) تستخدم للإهانة.[٣٥]

يؤكد ويزرال[٣٦] أن اللغة تقدم دليلاً على النظام الاجتماعي والأخلاقي، حيث يتم تقييم الرجال والذكورة أكثر من النساء والأنوثة. ويقول إن الصيغ اللغوية التي تدل على الجنس في اللغة الإنجليزية أقل مقارنة مع اللغات الفرنسية والألمانية والعربية. على سبيل المثال، يمكن أن يشار إلى الأنوثة في اللغة الإنجليزية باستخدام اللاحقات مثل "ess" في: ممثلة (actress)، نادلة (waitress) و"ette": المرأة التي تنادي بحق التصويت (suffragette)، أو عن طريق الاضافة مثل: طبيبة (woman-doctor)، ممرض (male-nurse).

(٣٣) A. Weatherall, *op.cit*. p. 767.

(٣٤) R. Lakoff, *op.cit*.

(٣٥) *Ibid*.

(٣٦) A. Weatherall, *op. cit*. p. 767.

وفي المقابل، انتقد الباحثون إضافة لاحقات التأنيث والإضافة نسبة لآثارها الضعيفة التي تقلل من قدر المرأة.[٣٧] ويؤكد ستانلي[٣٨] (Stanely) أن علامات التأنيث تلك تخلق تأثيراً دلالياً سالباً للمرأة. وهكذا، فإن اللغة تصف المرأة بأنها مختلفة بغض النظر عن ما تقوم به. (مثال: جرّاحة (female surgeon)، محامية (woman lawyer). أو أقل أهمية من الرجال الذين يقومون بالشيء نفسه. مثال: نادلة مقابل النادل (waiter vs. waitress)، مضيفة مقابل المضيف (steward vs. stewardess). أما في حالة الإضافة، فيرى ويزرال أن الاشارة إلى الجنس في حد ذاتها تمييز بين الجنسين، وتورد معلومات حول الأدوار المعيارية للنوع الاجتماعي بشكل عام. على سبيل المثال، يمكن استخدام علامات التذكير كمؤشر لرجل يدخل المجال النمطي للنساء، مثل: ممرض (male nurse) ، ذكر العاهرة (male prostitute).

لا يتحدث المرأة والرجل بالطريقة نفسها في العديد من المجتمعات اللغوية. مثلاً، عند المجموعة الهندية في الأمازون تختلف اللغة التي تستخدمها الأم عن لغة الأب، ويعزى ذلك إلى أن الرجال ملزمون بالزواج من خارج قبيلتهم، ولكل قبيلة لغة تختلف عن الأخرى.[٣٩] ففي مثل هذه الحالة يتحدث الرجال بلغة تختلف عن لغة النساء. وفي مقابل ذلك، هناك مجتمعات تكون فيها اللغة مشتركة بين الرجال والنساء، ولكن تظهر بعض السمات اللغوية في حديث النساء فقط أو في حديث الرجال فقط. وتكمن هذه

(٣٧) A. Weatherall, *op.cit*., p. 767.

(٣٨) J.P. Stanley (1977): "Gender-making in American English: Usage and reference", in A.P. Nilsen, H. Bosmajian, H. C. Gershuny, & I. P. Stanley (eds.), *Sexism in Language*. Urbana: National Council of Teachers, pp. 43-74.

(٣٩) J. Holmes & M. Marra, *op.cit.*, pp. 377-398.

الاختلافات في اختيار طريقة اللفظ، والنحو والصرف، واستخدام المفردات.[٤٠] في حين أن بعض علماء علم الاجتماع اللغوي يعتقدون أن المرأة واعية بمكانتها (وينعكس هذا في استخدامها صيغ كلامية قياسية)، ويقول لاكوف[٤١] في هذا الصدد إن بعض النساء يملن إلى استخدام اللغة التي تعزز مكانتها التبعية.

لقد جذبت الاختلافات في استخدام اللغة بين الرجال والنساء انتباه علماء اللهجات في أجزاء مختلفة من العالم. وتشير نتائج البحوث إلى أن الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة تظهر على مستويات مختلفة من النحو، والأصوات، والمفردات.[٤٢] ويوضح لابوف[٤٣] (Labov) أن التمايز الجنسي في التحدث يلعب في كثير من الأحيان دوراً رئيسياً في آلية التطور اللغوي. ومن ناحية أخرى، مما تعنى به بحوث التحول اللغوي، الاختلافات اللغوية بين الذكور والإناث فيما يتصل بالحفاظ على اللغة الأم للمجتمع أو التحول بعيداً عنها. على سبيل المثال، تشير الدراسة التي أجرتها غال[٤٤] (Gal) عام ١٩٧٩م إلى أن المرأة كانت تقود عملية التحول اللغوي في مجتمع أوبرفارت (Oberwart)، وهو مجتمع ثنائي اللغة (الألمانية – الهنغارية) في الجزء الشرقي من النمسا (بالقرب من الحدود المجرية). وقد رفضت النساء الزواج ممن يتحدثون الهنغارية خوفاً من أن يحرمهم ذلك من فرصة رفع مستوياتهن الاقتصادية

(٤٠) *Ibid*., pp. 377-398.

(٤١) R. Lakoff, *op.cit*.

(٤٢) See: Anshen, Sankoff & Cdergren, Kenan, Lakoff, *op.cit*.

(٤٣) W. Labov (1972): *Sociolinguistic Patterns*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

(٤٤) S. Gal (1979): *Language Shift: Social Determinants of Linguistic Change in Bilingual Austria*. New York: Academic Press.

والاجتماعية، حيث كانت الألمانية لغة العلم والمال والاقتصاد. ومن المتوقع أن تظهر صورة مختلفة في بعض السياقات الأفريقية، حيث تميل النساء إلى الحفاظ على لغاتهن العرقية الخاصة نظراً لمحدودية تواصلهن مع المجتمعات اللغوية الأخرى. لذلك فإن حقيقة أن نساء الشعوب الأصلية في أفريقيا أقل تعليماً، وبالتالي يلعبن دوراً ثانوياً في الحياة الاجتماعية-السياسية والاقتصادية-الاجتماعية في بعض أجزاء من القارة، قد يكون عاملاً آخر يسهم في ارتفاع مستوى الحفاظ على اللغة فيما بينهن.

يجزم هولمز[٤٥] أن الأهداف الاجتماعية والاقتصادية للأفراد في المجتمع تلعب دوراً مهماً في عملية التحول اللغوي، ويكون التحول سريعاً عندما يحرص الأفراد على الانخراط في مجتمع تكون فيه معرفة اللغة السائدة شرطاً أساسياً للنجاح، من الأرجح أن يأخذ الشباب زمام المبادرة في هذه العملية. كما تبيَّن أنه يمكن قيادة عملية التحول اللغوي بواسطة النساء أو الرجال اعتماداً على توافر فرص العمل. وقد وُجد أن الشابات في أوبرفارت قد سبقن الرجال في التحول إلى اللغة الألمانية لاستفادتهن من الوظائف الجديدة التي أوجدتها التغيرات الصناعية في القرية. ومن ناحية أخرى، تميل النساء المهاجرات اللاتي وصلن حديثاً إلى نيوزيلندا – وغالباً ما يكن أقل تعليماً من أزواجهن – إلى البقاء في المنزل، مما يساعد على احتفاظهن بلغاتهن. وعندما يحصلن على فرص للعمل، وهي دائما وظائف منخفضة الأجر، حيث يعملن مع غيرهن من المهاجرات اللاتي ينتمين إلى نفس المجموعة العرقية، يواصلن أيضاً في استخدام لغتهن العرقية في مكان العمل.

نخلص مما تقدم إلى أن الدور الاجتماعي-الاقتصادي للنساء أو الرجال في مجتمع ما هو الذي يحدد مساهمتهم في التحول اللغوي. وتلعب النساء في السودان،

(٤٥) J. Holmes & M. Marra, *op.cit*. pp. 377-398.

الذي يمثل سياق هذه الدراسة، دوراً كبيراً في جميع جوانب الحياة، حيث يذهبن إلى المدارس والجامعات، ويشاركن بفعالية في الأنشطة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية (لا توجد أرقام موثوقة تبين تقلد النساء لمناصب قيادية). والهدف الرئيسي من هذه الورقة هو وصف الطريقة التي أسهمت بها النساء في إحداث تغيير في أنماط استخدام اللغة في مدينة الدلنج بجبال النوبة التي يشهد المجتمع فيها حالة تحول تدريجي ومنهجي من استخدام اللغات المحلية إلى استخدام اللغة العربية في التعامل اليومي.

٤- مجتمع الدراسة

تقع مدينة الدلنج في ولاية جنوب كردفان بالسودان، تضم مجموعات سكانية من خلفيات عرقية مختلفة يتحدثون بلغات تنتمي إلى ثلاث عائلات لغوية حسب تصنيف جوزريف غرينبيرج:(٤٦) النيلية الصحراوية، والنيجر كونغولية، والأفرو آسيوية (ممثلة في اللغة العربية). وقد تسبب اندلاع الحرب في منطقة جبال النوبة، إلى جانب غيرها من العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، في أن يهجر الكثير من الناس قراهم ويستقرون في المدينة، والمناطق الحضرية الأخرى داخل السودان. شهدت المدينة خلال العقدين الماضيين نمواً ملحوظاً كواحدة من الأماكن الأكثر أهمية في المنطقة. فقد تطورت كمركز تجاري جاذب للمزيد من المهاجرين. وقد شكَّل المستوطنون الجدد نسبة لا بأس بها من المتحدثين باللغة العربية، والمتحدثين بلغتين (اللغة العربية واللغات المحلية). وبعد اتفاق وقف إطلاق النار في عام ٢٠٠٣م، عادت إلى جبال النوبة مجموعات كبيرة من النوبة الذين فروا من مدنهم وقراهم واستقروا

(٤٦) J. Greenberg (1966): *Languages of Africa*. The Hague: Mouton.

في الخرطوم، والجزيرة، وغيرها من المناطق الحضرية الكبرى في السودان. وقد سجلت الدراسة الحالية ٣٦ لغة مختلفة، منها ما هو أصيل في المنطقة (جبال النوبة) ومنها ما جاء من أجزاء أخرى من السودان.

وقد شارك الكثير من ثنائيي اللغة في وقت سابق في مشاريع إعاشة الفلاحين. ومنذ اندلاع الحرب في المنطقة، ترك معظم الفلاحين أعمالهم الأصلية وانخرطوا في الأنشطة الاقتصادية المحلية في مدينة الدلنج أو غيرها من المدن الكبيرة في السودان. ويعني ذلك أن حياتهم قد تغيرت بدرجة كبيرة من مزارعين إلى تجار (الأنشطة التجارية البسيطة مثل بيع المنتجات الزراعية، المواد الغذائية، صنع الشاي، الخ)، وموظفي دولة، أو عاملين في القطاع الخاص. وفي مسح لغوي أجراه كاتب هذا المقال، وجد أن المرأة هي الأكثر تقدماً في عملية التحول نحو العربية مقارنة مع الرجال. ويتفق هذا النمط مع دراسات التغير اللغوي في المناطق الحضرية. ويكمن الدافع لهذا التحول في اعتقاد بأن اللغة المتحول إليها ذات مكانة اجتماعية رفيعة.[٤٧]

٥- جمع البيانات

تعتمد هذه الدراسة على استبيانات وجهت إلى ٥٧٢ من الإناث و٩٤٢ من الذكور ينتمون إلى ثلاث فئات عمرية، إلى جانب الملاحظة والمقابلات الشخصية. وقد غطى المسح ٣٧ مجموعة عرقية مختلفة تعيش في مدينة الدلنج. ولتسهيل تنظيم البيانات نفضل التركيز على المجموعات الثلاث الكبرى (على النحو الذي يشير إليه المسح): أما نيمانج، ودلنج، وغلفان، وتسمية ما تبقى منها باسم "الأخرى". تشكِّل عينة الدراسة الحالية ثلاث مجموعات عمرية مختلفة (الكبار والشباب والأطفال). طالما أن

(٤٧) P. Trudgill (1974): *Sociolinguistics: An Introduction.* Harmondsworth: Penguin Books.

الهدف الرئيسي من هذه الورقة هو تسليط الضوء على دور النوع (الجنس) في عملية التحول اللغوي والمحافظة على اللغة في السياق السوداني، فقد تم تجاهل الفوارق العمرية (على الرغم من أنها مهمة جداً في هذه العملية). يحتوي الاستبيان على أسئلة حول إتقان اللغة، واستخدام اللغة في أماكن ومجالات مختلفة. وتم قياس البيانات كمياً وتحليلها إحصائياً باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للدراسات الاجتماعية SPSS.

٦- تحليل البيانات والنتائج

لغرض تحليل البيانات قُسمت مستخرجات المادة البحثية إلى ثلاثة أقسام رئيسية وفقاً للمتغيرات الثلاثة قيد الاختبار: إتقان اللغة، واستخدام اللغة في المجالات المختلفة والاتجاهات النفسية للغة. ويلخص الجدول أدناه إجادة المبحوثين والمبحوثات اللغة المعنية كلغة أساسية.

جدول رقم (١): توزيع اللغة الأساسية حسب نوع الجنس

الجنس	اللغة العربية		اللغة العرقية		المجموع	
ذكر	٥٧٢	٪٦١,٩	٣٥٢	٪٣٨,١	٩٢٤	٪١٠٠
أنثى	٤١٧	٪٧٢,٩	١٥٥	٢٧,١	٥٧٢	٪١٠٠

يبيِّن الجدول أعلاه الفرق بين الإناث (٧٢,٩٪) والذكور (٦١,٩٪) في التحول اللغوي العرقي؛ فقد تجاوزت الإناث الذكور في العملية بنسبة ١١٪. لابد أن يكون الدور المتنامي للنساء في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في جبال النوبة قد ساهم في ارتفاع معدل التحول اللغوي وسطهن. ذلك لأن النساء كن أكثر تعرضاً للغة العربية، اللغة السائدة، نظراً لمشاركتهن النشطة في أعمال الحياة اليومية في

المنطقة (الكثير من النساء السودانيات يذهبن إلى المدرسة والجامعة ولديهن فرص عمل مختلفة). بالنظر إلى حقيقة أن المرأة في هذه المجتمعات تكاد تكون مسؤولة وحدها عن تربية الأطفال، فمن المتوقع أن يكون دورها في التحول اللغوي أكثر تأثيراً. توصل عدد من الدراسات[٤٨] إلى أن مساهمة المرأة في التحول اللغوي العرقي كان استثنائياً. ومع ذلك، فإن انخفاض معدل الاحتفاظ باللغة العرقية بين النساء مقابل معدل الرجال الذي تشير إليه الدراسة الحالية يتعارض بشكل كبير مع ملاحظات هولمز[٤٩] في أن المرأة في نيوزيلندا كانت الأقل تأثراً بالتحول إلى اللغة السائدة. وتعزى عملية الحفاظ على اللغة العرقية التي مرت بها المرأة في نيوزيلندا إلى انخفاض مستوى تعليمها في بعض المجتمعات ومحدودية فرص العمل المتاحة لها. وقد ساعد ميول المرأة للبقاء في المنزل في الحفاظ على لغاتها الخاصة. وحتى عندما تحصل النساء على فرص العمل، فغالباً ما تكون وظائف منخفضة الأجر في بيئة يتم العمل خلالها مع أفراد من نفس المجموعة العرقية؛ لذا يصبحن أكثر قدرة على استخدام لغتهن الأصلية والمحافظة عليها.[٥٠]

يختلف اختيار النساء والرجال للغة التخاطب باختلاف السياقات التي يوجدون فيها. وعلى سبيل المثال، تشير دراسة لابوف[٥١] التي أجراها في مدينة نيويورك، إلى أن المرأة تميل لاستخدام الصيغ اللغوية المنمقة أكثر من الرجال. وتشير البحوث الحديثة إلى أن النساء والرجال في اليابان يستخدمون الأنماط النحوية بتتابعات

(٤٨) S. Gal, *op.cit*.

(٤٩) J. Holmes, *op.cit*.

(٥٠) *Ibid, idem*.

(٥١) W. Labov, *op.cit*.

مختلفة.[٥٢] وبناءً على مثل هذه النتائج يمكننا افتراض أن المبحوثين من الذكور والإناث في هذه الدراسة يستخدمون اللغات المتوافرة لديهم بطرق مختلفة تماماً. بمعنى أن النساء يستخدمن اللغة العربية أكثر من الرجال، كونها اللغة الأوسع انتشاراً وأعلى مكانة في السودان. ففي كل تعامل بين المتحدثين للغات المحلية في المدينة يكون الاختيار فيما بين العربية وإحدى اللغات المحلية، وفي بعض الحالات تستخدم اللغة العربية أو واحدة من اللغات المحلية، وفي حالات أخرى تكون اللغات جميعها مناسبة للاستخدام. وقد يصعب التكهن في هذه الحالة بالنماذج اللغوية التي ستستخدم ومن الذي سيستخدمها من المتحدثين. غير أن تحويل النماذج اللغوية (من اللغة العربية إلى اللغة العرقية) هو المصطلح الأفضل لوصف مثل هذه الحالة، حيث يميل المتحدثون باللغات المحلية إلى التحول إلى لغة أخرى وقتما أرادوا استبعاد الآخرين من الحديث أو إظهار أنهم فخورون للغاية بلغتهم وانتمائهم العرقي. وعندما يرغب المتحدثون بلغة ما في التحدث عن أشياء خاصة جدا في وجود أشخاص من خارج مجموعتهم، فإنهم يلجأون إلى التحدث بلغتهم الخاصة. وفي حالات أخرى للحديث، يلجأ أفراد مجموعة عرقية ما إلى لغتهم الخاصة كاستراتيجية لتأكيد هوية تلك المجموعة. ويكون هذا الميل صادقاً لدى الذكور الذين يحرصون بشدة على الحفاظ على لغتهم وهويتهم القبلية وتأكيدها. عليه، فإن الدور الحاسم الذي تلعبه القبلية في التدرج والارتقاء السياسي والاجتماعي في السودان يبرر لجوء الرجال ذوي الطموحات السياسية إلى قبائلهم من أجل كسب تأييدها في الانتخابات أو في المسائل السياسية الأخرى. يوضح الجدول أدناه توزيع استخدام اللغة في المجال المنزلي حسب الجنس.

(٥٢) J. Holmes & M. Marra, *op.cit.*

جدول رقم (٢): استخدام اللغة في المنزل حسب الجنس

اللغات	ذكر		أنثى		المجموع	النسبة
العربية	٦٢٨	٪٦٧،٩٦	٤٣٧	٪٧٦،٣٩	١٠٦٥	٪٧١،١٨
أما	١٠٢	٪١١,٠٣	٤٩	٪٨,٥٦	١٥١	٪١٠,٠٩
دلنج	١٨	٪١,٩٤	٣٧	٪٦,٤٦	٥٥	٪٣,٦٧
غلفان	٦٤	٪٦,٩٢	٩	٪١,٥٧	٧٣	٪٤,٨٧
أخرى	١١٢	٪١٢,١٢	٤٠	٪٦,٩٩	١٥٢	٪١٠,١٦
المجموع	٩٢٤	٩٩،٩٧	٥٧٢	٪٩٩,٩٧	١٤٩٦	٪٩٩,٩٧

يبيِّن الجدول أعلاه بوضوح أن الإناث أكثر استخداماً للغة العربية في المجال الأسري مقارنة بالذكور. أفادت نسبة ٧٦,٣٩٪ من المبحوثات أنهن يتحدثن باللغة العربية بشكل مطلق في المجال الأسري؛ ويعني هذا أن نسبة ٢٣,٤٪ فقط من الإناث في العينة لا تزال تستخدم لغاتها العرقية داخل المجال الأسري. ويشير الجدول أيضاً إلى أن استخدام اللغات العرقية في المنزل يقل بصورة منتظمة من مجموعة إلى أخرى. بلغ أعلى معدل لاستخدام اللغة العرقية في البيت نسبة ٨,٥٦٪، وهي النسبة الدنيا، وكانت وسط نساء مجموعة الأما (نيمانج). لابد أن مكانة اللغة العربية بوصفها اللغة المشتركة الوحيدة في المنطقة، وكذلك هيمنتها على جميع الأصعدة الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية وغيرها، قد لعبت دوراً كبيراً في عملية التحول اللغوي التي تمر بها النساء في جبال النوبة.

من العوامل المهمة التي يجب مراعاتها عند التكهن باختيار الفرد للغة معينة (اللغة العربية، أواللغة المحلية، أو كليهما)، الدور الذي تلعبه اللغة في عملية التواصل

بين المشاركين. وهناك جوانب أخرى أقل أهمية مثل الزمان والمكان والغرض من الحديث،[٥٣] حيث يميل المتحدثون دائما إلى تأكيد هوياتهم. ففي حين أن الذكور يميلون إلى استخدام اللغة المحلية في كثير من الأحيان عند التعامل مع أفراد من نفس المجموعة العرقية، تميل الإناث أكثر إلى استخدام العربية. ويبدو أن استخدام اللغة العربية الذي يغلب على لغة التواصل مع الأقارب قد ظل منتشراً بين الشابات الإناث اللاتي يذهبن إلى المدارس والجامعات. وقد لوحظ أن بعض الشابات يتجنبن استخدام لغاتهن العرقية، ذلك لاعتقادهن أن التحدث باللغة المحلية يرتبط في العادة بالوضع الاجتماعي المتدني للمتحدثين. وتنتشر مثل هذه الميول كثيراً بين الإناث المتحدثات باللغات المحلية في المناطق الحضرية في السودان، خصوصاً في العاصمة، الخرطوم. يوضح الجدول التالي توزيع استخدام اللغة مع الأقارب.

الجدول رقم (٣): استخدام اللغة مع الأقارب حسب الجنس

اللغات	ذكر		أنثى		المجموع	النسبة
العربية	٥٣٩	٪٥٨,٣٣	٣٨٨	٪٦٧,٨٣	٩٢٧	٪٦١,٩٦
أما	١٢٢	٪١٣,٢٠	٦٣	٪١١,٠١	١٨٥	٪١٢,٣٦
دلنج	٣٣	٪٣,٥٧	٥٠	٪٨,٧٤	٨٣	٪٥,٥٤
غلفان	٨٤	٪٩,٠٩	١٦	٪٢,٢٩	١٠٠	٪٦,٦٨
أخرى	١٤٦	٪١٥,٨٠	٥٥	٪٩,٦١	٢٠١	٪١٣,٤٣
المجموع	٩٢٤	٪٩٩,٩٩	٥٧٢	٪٩٩,٩٨	١٤٩٦	٪٩٩,٩٧

(٥٣) S. Gal, *op.cit.*

يبدو واضحاً من الجدول أعلاه أن الإناث يستخدمن اللغة العربية أكثر من الذكور في التواصل مع الأقارب. ومن ناحية أخرى، يميل الذكور إلى استخدام لغاتهم العرقية الخاصة أكثر من الإناث اللاتي يكثرن من استخدام اللغة العربية. ينتظم هذا النمط على مستوى المجموعات المختلفة باستثناء مجموعة الدلنج، حيث استخدم فيها النساء لغة المجموعة أكثر من الرجال. قد يعزى ذلك إلى أن نساء الدلنج يعشن بكثافة داخل منطقتهن، الشيء الذي يمكنهن من استخدام لغة الدلنج في التواصل اليومي. يشير الجدول أيضاً إلى أن أعلى نسبة استخدام للغة العرقية في هذا المجال وجدت بين أولئك الذين ينتمون إلى المجموعة المصنفة بـ"أخرى" (أكثر من ٣٣ مجموعة عرقية مختلفة). بعبارة أخرى، فإن فئة ضئيلة من النساء في العينة تميل إلى استخدام اللغات العرقية أثناء التعامل اليومي. ويمكننا افتراض أن هذه المجموعات تستخدم لغاتها الخاصة كاستراتيجية دفاعية ضد الانصهار في المجتمع الذي تهيمن فيه اللغة العربية. وقد تعزز الفرضية حقيقة أن هذه المجموعة تشكل أصغر المجتمعات الإثنية اللغوية التي تحاول التأكيد على هويتها العرقية في المنطقة.

ويظهر التحليل أيضاً أن نساء مجموعة الغلفان سجلن أدنى معدل لاستخدام اللغة العرقية في تواصلها داخل المجموعة، حيث مثلت نسبة الفرق بين الإناث والذكور في استخدام اللغة العرقية ٦,٦٪ لصالح الرجال. ويشير ذلك إلى أن إناث الغلفان هن الأكثر تأثراً بعملية التحول إلى اللغة العربية. واستناداً على القول بأن المرأة تحرص على علو مكانتها الاجتماعية، يمكننا افتراض أن نساء مجموعة الغلفان هن الأكثر ميولاً للانتساب إلى اللغة والثقافة العربيتين. ومن المتوقع أن يصبح استخدام اللغة العربية الشائع بين الإناث أكثر انتشاراً خارج المجال المنزلي، حيث تشمل عملية التواصل اليومي متحدثين من خلفيات لغوية–عرقية مختلفة. ولابد أن العوامل الاجتماعية–الاقتصادية والاجتماعية–السياسية قد ساهمت بشكل كبير في تشكيل

نمط استخدام اللغة داخل هذا المجال. يبين الجدول الآتي توزيع استخدام اللغة خارج المجال المنزلي حسب نوع الجنس.

جدول رقم (٤): استخدام اللغة خارج المجال المنزلي حسب الجنس

اللغات	ذكر		أنثى		المجموع	النسبة
العربية	٨١٤	٨٨،٠٩٪	٥٢١	٩١,٠٨٪	١٣٣٥	٨٩،٢٣٪
أما	٣٧	٤٪	١٢	٢,٠٩٪	٤٩	٣,٢٧٪
دلنج	١١	١,١٩٪	٢٠	٣,٤٩٪	٣١	٢,٠٧٪
غلفان	٢٨	٣,٠٣٪	٣	٠,٥٢٪	٣١	٢,٠٧٪
أخرى	٣٤	٣,٦٧٪	١٦	٩,٦١٪	٥٠	٣,٣٤٪
المجموع	٩٢٤	٩٩,٩٨٪	٥٧٢	٩٩,٩٧٪	١٤٩٦	٩٩,٩٨٪

يبين الجدول أعلاه أن اللغة العربية هي اللغة السائدة خارج المنزل وسط كلا من الجنسين (٨٨,٠٩٪ من الذكور و ٩١,٠٨٪ من الإناث). كما أن الفرق بين النساء والرجال في استخدام اللغة العربية ليس كبيراً (حوالي ٣٪ للنساء). وهذا يوضح أن اللغات العرقية ما تزال تستخدم في الأحياء، والشوارع، والمدارس، وأماكن العمل بواسطة ١١,٩١٪ من الذكور و ٨,٢٪ من الإناث. ونلاحظ أن النساء في هذا السياق الخاص يتجهن إلى استخدام العربية أكثر من اللغات المحلية مقارنة بالرجال. وتشير النتائج (باستثناء الدلنج) إلى أن الذكور يفوقون الإناث في استخدام اللغات العرقية خارج نطاق المنزل، حيث أفادت نسبة ٢٠٪ فقط من نساء الدلنج بأنهن يستخدمن لغة الدلنج خارج نطاق المنزل. وقد لوحظ استخدام لغة الدلنج باستمرار بين الرجال في الشوارع والأحياء في جميع أنحاء المدينة. وإذا وضعنا في الاعتبار أن معظم هؤلاء

الإناث ينتمين إلى الجيل الأول من المبحوثات (٦٠ سنة وما فوق)، سيكون من المنطقي أن نفترض أنهن يستخدمن لغة المجموعة للتواصل مع الأشخاص الذين في أعمارهن داخل الأحياء والشوارع، والأسواق، إلخ.

الجدول رقم (٥): استخدام اللغة في المناسبات الاجتماعية حسب الجنس

اللغات		ذكر		أنثى	المجموع	النسبة
العربية	٧٩٣	٨٥،٨٢٪	٥٢٤	٩١،٦٠٪	١٣١٧	٨٨,٠٣٪
أما	٣٨	٤,١١٪	١٤	٢,٤٤٪	٥٢	٣,٤٧٪
دلنج	١٠	١,٠٨٪	١١	١,٩٢٪	٢١	١,٤٠٪
غلفان	٣٢	٣,٤٦٪	٣	٠,٥٢٪	٣٥	٢,٣٣٪
أخرى	٥١	٥,٥١٪	٢٠	٣,٤٩٪	٧١	٤,٧٤٪
المجموع	٩٢٤	٩٩,٩٨٪	٥٧٢	٩٩,٩٧٪	١٤٩٦	٩٩,٩٧٪

في مجال آخر، أي المجال الاجتماعي، يشير الجدول أعلاه إلى أن الإناث استخدمن العربية أكثر من الذكور، وأن الذكور، من ناحية أخرى، استخدموا اللغات المحلية أكثر من الإناث. وتتسق هذه النسبة في جميع المجموعات المبحوثة باستثناء الدلنج، حيث تجاوزت إناث هذه المجموعة الرجال قليلاً في استخدام اللغة العرقية. ويبيِّن الجدول أيضاً أن أكبر فرق تم تسجيله بين الجنسين من حيث استخدام اللغة العرقية في المناسبات الاجتماعية كان وسط مجموعة الغلفان، حيث يستخدم الذكور من الغلفان لغتهم الأصلية أكثر من النساء. ونسبة لتمتع اللغة العربية بمكانة مرموقة لدى العديد من النساء، فمن الممكن تفسير استخدامها السائد في هذا المجال على أنه محاولة من النساء لإدعاء الرقي الاجتماعي. وتزخر العديد من الأدبيات المختصة بما

يثبت ادعاء النساء للمكانة الاجتماعية الرفيعة من خلال استخدامهن للغة. وفي هذا الصدد أشارت مقابلة أجريت مع نساء في مدينتي نيويورك ونورويتش إلى أنهن يستخدمن صيغاً لغوية معيارية لادعاء الرقي في المناسبات الاجتماعية أكثر مما كن يفعلنه في حياتهن العادية.(٥٤) أما في السياق السوداني بصفة عامة وجبال النوبة بصفة خاصة، فقد عانت المرأة من عدم الاعتراف الاجتماعي، ولكن نتيجة للفرص المتزايدة التي أتيحت للنساء في مجال التعليم والعمل خلال العقود الأخيرة، إزدادت ظاهرة ادعاء الرقي الاجتماعي من خلال التحدث باللغة العربية، بصورة واضحة. وفي هذه الحالة، وعلى أقل تقدير، قد يحاول البعض من النساء تحقيق ذلك الرقي الاجتماعي باستخدام اللغة العربية، وخاصة الشابات اللاتي يذهبن إلى المدارس والجامعات.

كما ذكر سابقاً، فقد أثر الدور المتعاظم للمرأة في المجتمع السوداني على اختيارها للغة بشكل ملحوظ. ففي الوقت الراهن لم تعد الواجبات الحياتية للمرأة قاصرة على الزواج فقط، بل أيضاً على توافر فرص العمل في القطاعين العام والخاص (على سبيل المثال، تعمل المرأة في التجارة، والمؤسسات الحكومية، والشركات الخاصة). ويمكّن هذا الوضع المرأة من الحصول على المزيد من الفرص لتجاوز الأدوار التقليدية (أم أو بنت تبقى داخل المنزل)، حيث شاركت المرأة بفعالية في الحياة الاجتماعية–الاقتصادية والاجتماعية–السياسية. ونظراً لأن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة المشتركة بين مجموعات تتحدث لغات مختلفة، فقد أصبح تعرض المرأة الواسع للغة العربية أمراً لا مفر منه. ونجد أن نجاح المرأة في اقتصاد السوق يعتمد إلى حد كبير على كفاءتها في اللغة العربية. ويعني هذا أنه كلما اتقنت المرأة اللغة العربية، كلما

(٥٤) J. Holmes & M. Marra, *op.cit.*, pp. 377-398.

اتيحت لها فرص الاستفادة من عملها في السوق أو في أماكن أخرى حيث تسود اللغة العربية في التعاملات اليومية.

٧- الاتجاهات النفسية للغة

لقد تم اختبار الاتجاهات النفسية للغة عبر سؤال المبحوثين والمبحوثات عن اللغة (أو اللغات) التي يفضلون التحدث بها في مختلف المجالات والتي يفضلون أن يتعلمها أبناؤهم. يلخص الجدول التالي تفضيل اللغة حسب الجنس.

الجدول رقم (٦): تفضيل اللغة حسب نوع الجنس

اللغات	ذكر		أنثى		المجموع	النسبة
المحلية	٢٦٥	٪٢٨,٦٧	١٢١	٪٢١,١٥	٣٨٦	٪٢٥,٨٠
العربية	٥٥٧	٪٦٠,٢٨	٣٩٦	٪٦٩,٢٣	٩٥٣	٪٦٣,٧
الانجليزية	١٠٢	٪١١,٠٣	٥٥	٪٩,٦١	١٥٧	٪١٠,٤٩
المجموع	٩٢٤	٪٩٩,٩٨	٥٧٢	٪٩٩,٩٩	١٤٩٦	٪٩٩,٩٩

يبيِّن الجدول أعلاه أن هناك فرقاً كبيراً في تفضيل اللغة بين المبحوثين والمبحوثات. فقد اتجهت الإناث إلى تفضيل اللغة العربية أكثر بنسبة ٦٩,٢٣٪، واللغات المحلية أقل بنسبة ٢١,١٥٪ من الذكور. ويبيِّن الجدول أيضاً أن نسبة مماثلة من الرجال والنساء في العينة اتفقت على أن اللغة الإنجليزية مفيدة جداً لأطفالهم. وربما كان السبب وراء هذا السلوك اللغوي الوجود الكثيف للمنظمات غير الحكومية في المنطقة، مما أدى إلى توفير فرص عمل كبيرة للذين يجيدون اللغة الإنجليزية. وإذا ما قارنا هذه الأرقام مع الأرقام المتعلقة باستخدام اللغة في القسم السابق، نستنتج أن الإناث يقيِّمن اللغة العربية بدرجة كبيرة، لذلك فهن من يقود عملية التحول إليها. ومن

المتوقع أن تتحدد اللغة التي يرغب النساء في أن يتعلمها أطفالهن وفقاً لفائدتها العملية للأطفال في مسقبلهم القريب. يوضح الجدول أدناه توزيع تفضيل اللغة للأطفال حسب الجنس.

جدول رقم (٧): تفضيل اللغة للأطفال حسب الجنس

اللغات	ذكر		أنثى		المجموع	النسبة
العربية	٣٤١	٪٥٧,٤	٢٥٣	٪٧٠,٦٧	٥٩٤	٪٦٢،٣٩
المحلية	٢٠٢	٪٣٤	٧٧	٪٢١,٥	٢٧٩	٪٢٩,٣
الانجليزية	٥١	٪٨,٥٨	٢٨	٪٧,٨٢	٧٩	٪٨,٢٩
المجموع	٥٩٤	٪٩٩,٩٨	٣٥٨	٪٩٩,٩٩	٩٥٢	٪٩٩,٩٨

يؤكد تحليل الجدول أعلاه أن الإناث يفضلن العربية أكثر من الذكور في مجتمع الدراسة. ويبدو أن الدور الحاسم للغة العربية في الحياة اليومية للناس قد لفت نظرهم إلى ضرورة تعليمها لأطفالهم حتى يضمنوا لهم ظروفاً معيشية أفضل. وكونها الوسيلة الوحيدة للتعليم ومفتاح النجاح في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في السودان، فقد عززت العربية موقفها على حساب اللغات السودانية الأخرى. يبيِّن الجدول أن أكثر من ٧٠٪ من الأمهات أو الأمهات في المستقبل عبَّرن عن رغبتهن في رؤية أطفالهن يتعلمون اللغة العربية. ومرة أخرى، لا يوجد فرق كبير بين الإناث والذكور في تفضيل اللغة الإنجليزية (أي أقل من ١٪ لصالح الرجال). إذا كانت هذه هي الحالة، فنتوقع حرصاً متزايداً من النساء على استخدام اللغة العربية مع أطفالهن في البيت، مما يزيد من احتمال تحول الأطفال الكامل إلى العربية. وقد كان هذا الاتجاه أقوى بين النساء مقارنة بالرجال في العينة. وبما أن النساء في السودان قد أظهرن اهتماماً متزايداً بتعليم أطفالهن، يمكن للمرء أن يتوقع كسب اللغة العربية

للمزيد من الأراضي، حيث يسعى الآباء لضمان تعلم أطفالهم لها من أجل أن يعيشوا حياة كريمة في المستقبل، الشيء الذي يشكِّل تهديداً كبيراً للغات السودانية الأخرى، لأن الناس قد يشككون في جدوى لغاتهم العرقية في حياتهم وبالتالي يدفعون الأطفال إلى هجرها والتحول إلى اللغة التي تضمن لهم مستقبلاً أفضل.

٨- الخاتمة

يكشف تحليل استخدام اللغة ومكانتها بين اللغات العرقية للنساء والرجال في مدينة الدلنج بجبال النوبة، أن النساء في المدينة يملن إلى استخدام اللغة العربية ويفضلنها أكثر من الرجال. وقد يكون هذا هو السبب الرئيسي وراء التحول إلى اللغة العربية الذي حدث لهن. وتشير الدراسة إلى أن الدور المتنامي للمرأة في المجتمع السوداني الحالي يمكن أن يشكِّل القوة الدافعة لعملية التحول اللغوي. فالمرأة الآن تذهب إلى المدارس والجامعات ولديها المزيد من فرص العمل في المؤسسات الحكومية والقطاع الخاص، وهي جميعها مجالات تمثل اللغة العربية فيها وسيلة التواصل الوحيدة.

يبدو أن اختيار اللغة والسلوك اللغوي للعينة (رجالاً ونساءً) في مدينة الدلنج قد غير في نمط استخدام اللغة، حيث تتجنب الشابات التواصل باللغات المحلية لارتباطها في أذهان البعض بالتخلف والشعور بالدونية؛ عوضاً عن ذلك، نجدهن يستخدمن العربية بشكل مكثف في جميع مجالات التواصل الاجتماعي. ذلك لأن التعليم وفرص العمل التي يحصلن عليها في القطاعين الخاص والعام يتطلب استخدام اللغة العربية على نحو مستمر. ومن ناحية أخرى، يستخدم مجتمع الدراسة اللغة العربية واللغات المحلية بدرجات متفاوتة، حيث يتم استخدام اللغات المحلية كلما دعت الحاجة إلى

تأكيد هوية المجموعة. وقد قدم غال[٥٥] (Gal) الدليل على أن النساء في أوبرفارت (Oberwart) لا يفضلن حياة الفلاحين المرتبطة باللغة الهنغارية، وبالتالي يرفضن الهوية الاجتماعية للزوجة الفلاحة. وقد رفضت النساء اللغة المجرية لأنها تضع المتحدثين بها في مرتبة الفلاحين، ولذلك اتجهن في القرية إلى التمسك بفرص الحياة الصناعية الجديدة المرتبطة باللغة الألمانية.

تؤكد هذه الورقة ما ذهب إليه غال بأن خيارات المرأة اللغوية وإبداعها اللغوي في مجتمع معين يعكس دورها الكبير في التغيير الاجتماعي. ويمكن فهم هذا النمط اللغوي الذي شاركت المرأة في تشكيله بشكل أفضل من خلال النظر في المعاني الاجتماعية للغات المستخدمة والخيارات الاستراتيجية للرجال والنساء فيما يتعلق بأساليب الحياة التي يتم التعبير عنها بواسطة اللغة.[٥٦]

(٥٥) *Ibid.*

(٥٦) *Ibid.*